٣، ٤ ـ ﴿كلا بل تحبون العاجلة. وتذرون الآخرة. وجوهٌ يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة. ووجوه يومئذ باسرة. تظن أن يُفعل بها فاقرة. كلا إذا بلغت التراقي. وقيل من راق. وظنّ أنه الفراقّ. والتفت الساق بالساق. إلى ربك يومئذ المساق﴾[1].

السياق الموضوعي واحدٌ هنا كذلك، يتضمن وصفًا لأحداث في وقوعها، ووصفًا لأحوال الأشخاص حاضري هذه الأحداث في أثناء وقوعها كذلك.

الآية الأولى ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾[2].

في الآية رؤية عينية ترتب عليها الظن، فالفعل (رأى) متعدٍّ لواحد (النار)، وترتب على الرؤية هذا الظن بموجب دلالة الفاء الرابطة بين الجملتين.

وسابق على الرؤية يأس يقيني من نجدة الشركاء والآلهة التي آمنوا بها من دون الله الواحد؛ ﴿لم يستجيبوا لهم﴾ ثم ﴿جعلنا بينهم موبقًا﴾.

فلا يمكن مع الرؤية العينية، والإدراك العقلي السابق على الرؤية واللاحق بها ﴿لم يجدوا عنها مصرفًا﴾، لا يمكن مع تحقق هذين الأمرين أن يكون (ظنٌّ) الكافرين مجرد شك، وأين إذن يكون اليقين بعد الرؤية العينية ؟! فالظن هنا إذن معنًى وفعلاً له قوة الرؤية العينية المصاحبة لإدراك عقلي وتأكيدها، ألا وهو اليقين التام.

وفي الآية الثانية، لدينا الإدراك العقلي نفسه، بعد تخلي الشركاء تخلّيًا إراديًا مقصودًا ﴿قالوا آذنّاك ما منا من شهيد﴾.

ثم تأكيد لهذا التخلي بجملة تعقيبية لا تدع مجالاً للشك أو الاحتمال ﴿وضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل﴾ بما في ذلك الفعل الماضي من قطعية المضيّ وحتمية الانقضاء.

لتكون النتيجة بعد ذلك، اكتمال هذا الإدراك العقلي وتيقنه، أنه: (ما من محيص).

وأما الآيتان الثالثة والرابعة، فواقعتان في سياق لغوي واحد، وفي أولاهما يقول أبو حيان الأندلسي [3]: «وتظن بمعنى توقن، أو يغلب على اعتقادها وتتوقع».

---

(١) القيامة: ٢٠ - ٣٠.
(٢) الكهف: ٥٣.
(٣) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت ١٩٩٢م، ج١٠، ص٣٥١.